Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعاً في أربـع

ولست بحاجة إلى التدليل على ان هذا التجديد في موسيقى الشعر بالمشرق العربي لم يكن استجابة لدواع «هرمونية»، شأنه في ذلك شأن التجديد في الأندلس كما رأينا ، على أنه للمرة الأولى في تاريخ موسيقى الشعر العربي نرى لمحتوى القصيدة أثراً في شكلها الموسيقي، فقد اقترن شكل الأبيات المزدوجة بالقصص الطويلة، والحكم والأمثال ، والمطولات في العصر العباسي كما لم يرتبط بها الشكل المألوف للقوافي الموحدة ، إذ نظم في هذا الشكل إبان بن عبد الحميد اللاحقي كتاب كليلة ودمنة ، ونظم الحريري ملحمته في قواعد الاعراب ، ونظم أبو العتاهية — ولعله هو وبشار أول من نظم فيه — مزدوجته المشهورة « ذات الحكم والأمثال » وعدتها أربعة آلاف بيت ، منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير ، فلمني أو فذر إن كنت أخطأت فما اخطأ القدر
لكل ما يؤذي وإن قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم

ويكتسب هذا الشكل قيمة حضورية تختلف باختلاف المحتوى الذي يملأه، فهو في قصيدة قصصية يساعد على الانتقال الخفيف بين الاجواء والبيئات المختلفة في القصة ، ولكنه في أبيات أبي العتاهية التي سقناها يزيد شعورنا باستقلال كل حكمة أو مثل عما عداه في القصيدة ، وإذا كانت القصيدة العربية تسبيح تعدد الأغراض مع وحدة القافية ، وإذا كان تعدد الاغراض حرياً أن يؤدي إلى تعدد القوافي مثلاً ، فان الأبيات المزدوجة شكل يلائم تعدد الحكم والأمثال واختلافها من بيت إلى بيت ، وهذا نوع من التآزر بين الشكل والمحتوى ، وخطوة ما على طريق الهرمونية .

وعرف الشعر في عصرنا ألواناً من التجـديد في الموسيقى الشعرية ، فتغيرت القوافي بتغير المقطعات في القصيدة الواحدة، وليس هذا تجديداً بالمعنى الصحيح،